مبدأ الحرية في التربية عند "جون جاك روسو"

The principle of education al freedom at "John Jacques Rousseau"

د/ تيرس حبيبة*

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/04/17	2019/05/29	2019/09/23

نسعى من خلال هذا المقال إلى التطرق إلى جانبين مهمين من جوانب الإنسان وهما الحرية والتربية، باعتبارهما من الحقوق المتأصلة في طبيعته البشرية، بإبراز أهمية العلاقة التكاملية بينهما في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة، وذلك بالوقوف عند أهم فلاسفة التربية وأحد أعمدة الفلسفة الوجودية المنادون بالحرية الإنسانية "جون بول سارتر" الذي عرف بفلسفته الطبيعية وبعقده الاجتماعي من خلال محاولته الجادة بإصلاح المجتمع عن طريق إصلاح نظامه التربوي، وذلك بنقد النظام التربوي السلطوي السائد واستبداله بنظام تربوي جديد يجعل من الحرية أهم المبادئ والأسس التي يقوم عليها.

الكلمات المفتاحية: جون جاك روسو، التربية، الحرية، الطفل، المعلم، العقد الاجتماعي، الإنسانية.

We seek through this paper to address two important aspects of human rights, namely freedom and education, as inherent rights in the human nature, highlighting the importance of the complementary relationship between them in the construction of the integrated human personality by standing at the most important philosophers of education

* – أستاذة محاضرة (ب)، جامعة الشلف، شعبة الفلسفة. tires.habiba@gmail.com

and one of the pillars of existential philosophy advocating human freedom "John Paul Sartre," known for his natural philosophy and social contract through his serious attempt to reform society by reforming its educational system, by criticizing the prevailing educational system and replacing it with a new educational system that makes freedom the most important principles and foundations Based on it.

Keywords:

Education, freedom, child, teacher, social contract, humanity.

مقدمة:

تمثل الحرية جوهر الوجود الإنساني، ولا طالما كانت على رأس قائمة المطالب الأساسية ضمن حقوق الإنسان، كما تعتبر من أهم الموضوعات الفلسفية التي تناولها الفلاسفة عبر تاريخ الفكر الفلسفي منذ لحظة توجيه الاهتمام بالقضايا الإنسانية، وذلك بالرغم من وجود تباين بينهم في مفهومها أو في طرق تحقيقها، إلا أنها تبقى قيمة سامية ضمن منظومة القيم الإنسانية والأخلاقية، التي نسعى إلى تحقيقها في مختلف نشاطات الإنسان، فهي ليست حكرا فقط على المجال السياسي، بل تتجاوزها إلى كافة الميادين الأخرى ولعلى أهمها ميدان التربية الذي يمثل هو الآخر بعدا مهما في تنمية الطبيعة البشرية وتطويرها. ويعد " جون جاك روسو" صاحب الفلسفة الطبيعية من أهم فلاسفة العصر الحديث" الذين شغلهم إصلاح أوضاع مجتمعهم الفاسدة بشتى أوجهها، حيث وجه عناية خاصة بالتربية وبالحرية في مشروعه الإصلاحي، وعليه ما هي أسس التربية الطبيعية التي نادى بها " روسو" وكيف ربطها بمبدأ الحرية؟

لقد اشتهرت تربية الفيلسوف الفرنسي "روسو Jean-Jacques Rousseau" (1712– 1778م) باسم (التربية الطبيعية) لأنه يشيد كثيرا بحياة الإنسان البدائي أو ما يسميها "**حالة الطبيعة**" التي كان يسودها في نظره الأمن والاستقرار، إذ كان الجميع فيها متساويين، في حين أصبح نظام الملكية في الحياة المدنية مصدرا لعبودية الناس وفقرهم ومصدرا لفساد وكسل البعض نتيجة حياة الراحة

والترف، لذلك نظر "روسو" إلى شرور العصر باعتبارها ثمار حضارة مصطنعة، بالرغم من أنه لم ينفي بعض المنافع التي جلبتها، فأعماله أثارت حالة عدم الرضا بالنظام الاجتماعي السائد ورغبته الكبيرة في تحسين أحوال المجتمع واستئصال الشرور المتفشية فيه.[1] فالرجوع إلى الطبيعة وإتباع قوانينها عند "روسو" هو الحكمة ذاتها وأساس طريق التغيير وبداية كل إصلاح، سواء كان إصلاحا سياسيا أو اجتماعيا أو أخلاقيا أو تربويا.

ينعكس النظام السياسي والاجتماعي السائد في الدولة على بنية النظام التربوي، "لأن فساد المجتمع وأنظمته المختلفة يؤدي بدروه إلى آثار سلبية على أهداف التربية وطرقها. فمحاولة إصلاح المجتمع يكون أيضا بإصلاح التربية.[2] " لذلك حاول"روسو" أن يبين طبيعة الخلل الموجود في النظام التربوي واقتراح بديلا لعلاج ذلك.

فلا معنى لقيمة السلام والأمن عند "روسو" في إطار حياة الاستغلال والعبودية والعيش بدون حرية حقيقية، وبدون ثورة وتمرد على ذلك الاستغلال، لأن العبودية تتجلى في مظاهر عديدة قد تكون غير مباشرة "أعرف جيدا أن الشعوب المستعبدة تميل إلى مديح السلام والأمان اللذين تتمتع بهما في قيودهم[...] علما أن العبيد غير جديري بالتكلم عن الحرية."[3] فالحرية تبقى قيمة أسمى لا يدركها إلا الشخص المتشبع بكرامته الإنسانية التي تجعله لا يستطيع العيش من دونها لذلك يقاوم ويحارب من أجل تحقيقها.

فالنظام الديمقراطي الصحيح عنده هو الذي يعبر عن الإرادة العامة التي تمثل أكثرية الشعب، والتي تستهدف تحقيق حياة اجتماعية صالحة، لأنها تعرف ما هو أفضل ونافع لها، لذلك على الحكومة أن تحترم هذه الإرادة التي تمثل رأي الأكثرية في تصويت ديمقراطي، مع أن هناك

---

[1]– وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد،التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص ص238– 239.

[2]– أندريه كريستون، روسو (حياته– فلسفته– منتخبات)، ترجمة نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ط4، 1988، ص 92.

[3]– المرجع نفسه، ص 145.

إشكالا مهما لابد وأن يطرح وهو كيف يمكننا أن نضمن بأن الإرادة العامة فعلا على وعي تام بما ينفعها؟ إجابة "روسو" هو أنهم يعرفون ذلك عندما يكون مثقفين وحكماء.[1] الأمر الذي يجعلنا لا نستغرب في مدى اهتمامه الكبير بالتربية والتعليم في خلق المواطن الذكي الحر، والواعي بمصلحته ومصلحة مجتمعه لا أن يكون تابعا لإرادة غيره.

صاغ أهم أفكاره السياسية المتعلقة بكيفية تنظيم العلاقات الاجتماعية، ومحاولة بناء فلسفة صحيحة لدولة ديمقراطية في كتابه "العقد الاجتماعي"، الذي طرح فيه ميثاق التعامل بين الأفراد وبين من يحكمهم، واقترح فيه الحقوق المدنية والسياسية للأفراد، بحيث تصوره كحل لمعضلة الاختلاف بين البشر بسبب سلطة القوي على الضعيف، وبه يحمي حقوق الأفراد وسلامتهم وأمنهم، ولقد صرح "روسو" في وصفه لهذا الميثاق قائلا:" إيجاد شكل لشركة تجير، وتحمي – بجميع القوة المشتركة – شخص كل مشترك وأمواله، وإطاعة كل واحد نفسه فقط، وبقاؤه حرّاً كما في الماضي مع اتحاده بالمجموع، فهذه هي المعضلة الأساسية التي تُحَلُّ بالعقد الاجتماعي."[2]

بهذا اعتبر أن التربية الصالحة هي التي تهدف إلى تحقيق الخير للصالح العام من خلال تربية الأفراد تربية تجعلهم يتحدون في ظل النظام المدني مع بعضهم البعض لتحقيق المصالح المشتركة، وليس خدمة مصالح طبقة معينة على حساب طبقة عامة الشعب.[3]

وعليه قدم "روسو" خطة واضحة من أجل تحقيق الحرية التي طالما رغبت فيها الطبقة المتوسطة أولا في الفرد بواسطة التربية. وثانيا في الدولة بواسطة حكومة صحيحة منظمة،[4]

---

[1]– جون هارمان راندال، تكوين العقل الحديث، جورج طعمة،ج1، دار الثقافة، بيروت(لبنان)، (د،ط)،(د،ت).، ص509.

[22]– جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، شركة كلمات للترجمة والنشر، القاهرة (مصر)،(د.ط)، 2013، ص37.

[3]– علي عبود المحمداويّ، الفلسفة السياسية (كشف لما هو كائن، وخوض فيما ينبغي للعيش معا)، منشورات ضفاف، بيروت (لبنان)، ط1، 2015، ص 155.

[4]– جون هارمان راندال، تكوين العقل الحديث، مرجع سابق، ص 507.

فالحكومة عنده ليست إلا هيئة تتولى تنفيذ القوانين الصادرة عن الإرادة العامة، من أجل ضمان الحريات المدنية والممتلكات، وبهذا فلا سلطة لها تفرضها على الشعب بل تستمد شرعيتها منه.[1]

أراد "روسو" أن يجد أسلوبا أو نظاما تربويا يحافظ على حالة الطبيعة التي كانت سائدة من قبل وذلك في ظل نظرية "العقد الاجتماعي" الذي اقترحها لتنظيم العلاقات بين الأفراد وكذا بناء دولة عادلة تحافظ على حقوق رعاياها، وأول مبدأ اعتمد عليه "روسو" في تربيته هو إيمانه بالطبيعة الخيرة للإنسان في مقابل اعتبار المجتمع هو مصدر الشرور ومفسدة لتلك الطبيعة الخيرة بقوانينه وأعرافه التي تجعل من الإنسان عبدا لها في ضرورة إطاعتها " [...] بل إني أسألكم من أين لكم البرهان على أن تلك الميول الخبيثة التي تزعمون عملكم على شفائه منها ليست في الواقع إلا ثمرة جهودكم لا ثمرة خلقته الفطرية."[2]

الأمر الذي يقتضي بالنسبة لـــ"روسو" عزل "إميل"*[3]عن المجتمع في تربيته ووضعه في حالة الطبيعة وقوانينها المساعدة على تكوين شخصيته وتدريبه بعيدا عن الظروف المعتادة"،[4] فالقضاء على تلك الشرور الموجودة في المجتمع والتي أثرت سلبا على تربية الطفل يقتضي نهج أسلوب تربوي مغاير يعيد إلى الأفراد طبيعتهم الخيرة ومحيطا جيدا يضمن لهم ذالك.

تميز "روسو" في نظريته التربوية بنزعته النقدية اتجاه التربية التقليدية وأساليبها الخاطئة، إذ ينتقد المربين الذي يهدفون من خلال مبادئهم التربوية على مقدار المعرفة التي يجب أن تقدم للطفل دون مراعاة قدرات وإمكانيات الطفل على استيعاب ذلك الكم الهائل من المعرفة النظرية، إذ يعامل الطفل كراشد بحيث لا يوجد أي احترام لمراحل نموه الطبيعية وخاصة مرحلة الطفولة، وفي هذا يقول: "وأحكم الكتاب يوجهون أنفسهم إلى ما ينبغي للرجل أن يعرفه، من غير اعتبار لما

---

[1]– عبد المعطى محمد، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(مصر)، (د.ط)، 2006، ص 305.

[2]– جان جاك روسو، أميل، ترجمة نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر،القاهرة، 1958، ص 81.

*– عبارة عن شخصية طفل افتراضية اقترحه "روسو" في كتابه " إميل" من أجل عرض أفكاره واقتراحاته التربوية التي طبقها عليه بصورة نظرية.

[4]– David Mavouangui, La Philosophie de Kant et L'éducation, L'Harmattan, Paris, 2012,p20.

يستطيع الطفل أن يتعلم. ذلك أنهم ينشدون الرجل دائما في الطفل، من غير أن يراعوا ماذا يكون الطفل فعلا قبل أن يغدو رجلا."[1]

فقد اعتبر التربية عملية مستمرة تبدأ منذ الولادة وتنتهي بالموت، وأن لكل مرحلة من مراحل النمو* خصائص معينة، لذلك يجب أن تتلاءم نوعية التربية وطرقها وفق هذه المراحل الطبيعية " عاملوا التلميذ بما يوافق عمره وضعوه أولا في مكانه الطبيعي ولا تحاولوا إخراجه منه ولا تسمحوا له بالخروج منه."[2]

احتل سؤال الطفولة في فلسفة التربية عند "روسو" أهمية بالغة باعتبار أن الاهتمام بها هو في نفس الوقت اهتمام بما سيكون عليه مستقبلا "إذ يعتبرها شرط وجود النوع الإنساني بأكمله الذي سيكون معرضا للهلاك إن لو لم يبدأ الإنسان طفلا"[3] بمعنى أنه سيختل نظام التربية إذا لم نراعي حقيقة الطفولة ومتطلباتها.

ففلسفة "روسو" الطبيعية ونظرته للطبيعة الإنسانية قد اعتبرت مرحلة هامة في تاريخ الفكر التربوي، فقد وجهت أفكار المربين إلى الطفل، الذي أصبح محور العملية التربوية بإمكاناته وقدراته التي يجب استغلالها وتنميتها بمراعاته لمراحل نموه، لأن مرحلة الطفولة عنده هي غير مرحلة الرجولة.[4]

---

[1]– جون جاك روسو، إميل، مصدر سابق، ص 18.

*– لقد قسم روسو مراحل تربية الطفل إلى أربعة مراحل: الأولى تمتد من 1–5 سنوات، تعتمد على التربية الجسمية، عن طريق التمارين المفيدة و الألعاب، و الثانية من 5 – 12 سنوات تتم فيها التربية السلبية بالتركيز على جسم الطفل وحواسه دون تدخل المربي، و الثالثة من 12 – 15 سنة تكون تربية عقلية تتم عن طريق التوجيه لا التلقين بالتركيز على العلوم الطبيعية ، الفلسفية والاجتماعية، أما المرحلة الأخيرة تمتد من 15 – 20 سنة تخصص للتربية الخلقية .

[2]– جون جاك روسو، مصدر سابق، ص 96.

[3]– خاليد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو: من التربية إلى علم التربية، مجلة نقد وتنوير مقاربات في التربية والمجتمع، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، العدد 1، 2015، ص 246.

[4]– نازلي صالح وسعيد يسن، المدخل إلى التربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1982،ص 12– 15.

يعتمد نمو ملكات الطفل على مقدار الحرية التي نمنحها له من أجل إبراز إمكانياته وطاقاته التي تتجسد في ما يقوم به من أعمال لا فيما يتلقاه من دروس نظرية، يقول روسو في ذلك: "إن سر التربية كله في أن ندع للتلميذ لذة تعليم نفسه بنفسه عن طريق الموضوعات والوقائع. فهذا هو ما يربي لديه ملكة التفكير والتمييز والقياس والضمير."[1] يدل ذلك على ضرورة منح الطفل مساحة للاعتماد على نفسه في عملية التعلم وهو ما أطلق عليه " روسو" مصطلح "التربية السلبية"، بحث لا يقصد بها أن لا تكون هناك تربية، وإنما هي التربية التي تعتمد على السير بمقتضى قوانين الطبيعة، حيث ترمي إلى تجنب الطفل أي تعليم مرتب على يد الآخرين بل توكل له تربية نفسه بنفسه،

بهذا يبقى الهدف الأسمى للتربية عند " روسو" هو المحافظة على الإنسان الطبيعي الذي تساعده التربية على تفتح شخصيته وصقلها وتشكيلها، فالطفل يولد ولديه قدرات يجب أن تنمى وتحترم بالحرية التي تعتبر أكبر عون للعقل على تنمية الشخصية وتعويد الطفل الاستقلال والاعتماد على النفس، وفي هذا الصدد يقول:" أعدوه من بعيد كي تسود حياته الحرية والقدرة على استعمال قواه كلها، تاركين لجسمه العادة الطيبة، بحيث يكون دائما سيد نفسه قادرا في جميع الأمور على العمل بمشيئته متى صارت له مشيئة".[2]

الأمر الذي جعله يثور على كل أشكال الضغط التي تمارس ضد الإنسان في كل مراحل حياته أين يحرم من حريته الحقيقية ومن حقه الطبيعي في ممارستها، ويصف أساليب هذا الإكراه في قول بليغ له بحيث يرى أن "مواضعاتنا ضروب من الخنوع أو الانحصار أو الضيق. فالإنسان المتمدين يولد ويعيش ويموت في رق العبودية. حين يوثقونه بقماط*، وحين يسمرون عليه تابوتا. ومادام على وجه الدنيا، فهو مكبل بشتى النظم."[1]

---

[1]– جون جاك روسو روسو، إميل، مصدر سابق، ص 186.

[2]– المصدر نفسه، ص 64.

*– يتحدث "روسو" بنوع من التفصيل عن عادة " القماط" المستعملة في تربية الطفل والمتمثلة في لف الطفل بقطعة من القماش أين تكبل جل أعضاء جسمه، إذ يعتبرها عادة تربوية خاطئة ولها مخاطر كبيرة على تربية المولود من الناحية

في هذا النقد لأسلوب التربية التقليدية يؤكد "روسو" على التربية التي تسمح للطفل بإطلاق العنان لتفكيره ونشاطه بحيث تقربه من واقعه المعاش بصورة مباشرة، كما تشجعه على روح العمل واكتساب الفضائل الأخلاقية، إذ يرى أنها " لأنانية من المعلم أن يستأثر بلذة التعليم كلها ولا يترك لتلميذه غبطة الاكتشاف التي ترضيه عن نفسه وتشعره بالنمو والنجاح. وسوف لا أكتفي بالنظريات الأخلاقية. بل سأجعل أميل يمارس الفضائل الاجتماعية بنفسه عمليا. فيعطي من ماله الصدقات. ويساعد في رفع الغبن عن المظلومين، هكذا يتكون لديه ضمير أخلاقي عملي يسع الناس كافة بغير فرق في الجنس أو الوطن أو الدين".[2] يعبر هذا القول عن معنى سامي من معاني الديمقراطية في التربية والتي تكفل التعاون المشترك بين جميع الأفراد مهما اختلفت أممهم أو جنسيتهم، إذ عليها فقط أن تأخذ في اعتبارها معيارا واحدا وهو تحقيق الخير الكلي للإنسانية جمعاء.

تظهر النزعة الإنسانية بشكل كبير في نظرية "روسو" التربوية الداعية إلى ضرورة احترام الإنسان لأنه إنسان وواجب أن تُحفظ حقوقه، لذلك يرفض التمييز بين طبقات المجتمع أو الأفراد لأن السبب بسيط وهو أنهم كلهم ينحدرون من جنس البشرية، وهذه هي أهم أسس وملامح التربية الديمقراطية التي نادى بها، والتي تدعو إلى احترام الطفولة ومبادئها، حيث يقول:"أيها الناس كونوا أشد إنسانية. فهذا هو واجبكم الأول.كونوا رحماء بجميع الطبقات، وبجميع الأعمار، وبجميع من ليسوا غرباء على البشرية. فأي حكمة يمكن أن تكون لكم إن أخرجتكم عن إنسانيتكم؟ أحبوا الطفولة. وارعوا في مودة لهوها وملذاتها وطبيعتها اللطيفة."[3]

الجسمية والنفسية، لأن فيها تقيد لحريته الحركية منذ البداية وكأنه مسجونا على حد تعبير "روسو"، في الوقت الذي تحتاج أعضاؤه لمزيد من الحركة من أجل تحقيق نموها الكامل، كما أن ذلك الضغط يؤثر على حالته المزاجية بدرجة كبيرة./ المصدر نفسه،ص ص 34– 36.

[1]– المصدر نفسه، ص34.

[2]– جون جاك روسو، إميل، مصدر سابق، ص 189.

[3]– المصدر نفسه، ص 80.

يستبعد فكرة التربية من أجل المستقبل بل يجب أن يُربى الطفل من أجل أن يعيش حياته الحاضرة والواقعية* فلا ينبغي إهمالها لصالح التمسك بفكرة الإعداد للمستقبل لأن ذلك تعسف في حق تربية الطفل "فما القول إذن في تلك التربية الهمجية التي تضحي بالحاضر القائم في سبيل مستقبل مجهول غير مضمون، وهي تربية تكبل الطفل بالأغلال من جميع الأنواع والأشكال."[1]

يؤمن "روسو" في فلسفته بمبدأ "التغيير"، حيث يشير إلى أن ظروف الحياة لا تبقى على وتيرة واحدة بل هي قابلة للتغيير المستمر ومن العبث بالنسبة إليه أن نربي الطفل على خلاف ذلك الأساس، " فمن الخرق أن ينشأ طفل على أساس حالة ثابتة وظروف لا تتغير".[2]

وجه اهتمامه بشكل كبير إلى التربية الخاصة أين يجب أن يخصص لكل طفل مربي خاص، على خلاف التربية العامة التي تتكفل الحكومة بالإشراف عليها أين يكون هناك تعليم نظامي مقصود، وفي ذلك يصف كتاب "الجمهورية لأفلاطون" وصفا يحمل كل مشاعر الإعجاب والانبهار عكس روح التربية العامة، حيث يقول: " وإن أردت أن تعرف كيف تكون التربية العامة، إقراء جمهورية أفلاطون. فما هو بكتاب في السياسة كما يتوهمه من يحكمون على الكتب بعناوينها، بل هو أجمل سفر في التربية خرج من يد بشر."[3]

كما آمن "روسو" أيضا بمبدأ الحد الوسطي في الفضائل الذي جاء به "أرسطو" (لا إفراط ولا تفريط)، حيث يرفض فكرة التطرف في تربية الطفل ومعاملته التي تسود التربية، ففي بعض الأحيان يصبح الطفل هو السيد الذي لابد وأن تلبى جميع رغباته أو يصبح في أحيان أخر بمثابة العبد الذي تملى عليه أوامر الآخرين وتمنع عنه حريته، حيث يقول عن هذه التربية:" ولا تتخذ لنا موقفا وسطا، فهو إما آمر وإما مأمور. وبهذا تكون أولى المعاني في نفسه معنى التحكم أو معنى

*– في هذه النقطة يلتقي "روسو" مع "ديوي" إذ يعتبر هذا الأخير أن التربية ليست إعدادا للمستقبل، إذ نقد هذه الفكرة وقال بأن التربية تعني الاهتمام بالحياة الحاضرة أيضا، وسنلاحظ ذلك في شرحنا لأهداف "ديوي" التربوية.

[1]– المصدر نفسه، 79.

[2]– المصدر نفسه، ص32.

[3]– جون جاك روسو، إميل، مصدر سابق ، ص30.

الاستعباد. فهو قبل أن يتعلم الكلام يأمر. وقبل أن يتعلم العمل يطيع. وأحيانا نعاقبه قبل أن يعرف فيما أخطأ، بل وقبل أن يخطئ.[1]

- **قراءة "جون ديوي" النقدية لأفكار روسو :**

لقد كانت لأفكار "روسو" التربوية من خلال كتابه "إميل" محل من القراءة والنقد عند فيلسوف التربية الأمريكي "جون ديوي"، من بينها أن دعوة "روسو" في نظر "ديوي" جاءت بالقول بالفردية المفرطة والثقة الكبيرة بالطبيعة في ضمان تربية صحيحة للناشئة بعيدة عن قوانين المجتمع ونظمه، بناءا على إدراكه بالطبيعة الفاسدة لذلك المجتمع ذو النظام الطبقي والتسلطي الذي يعيش فيه الفرد، أين يفرض قيوده الخارجية الفاسدة على قوى الإنسان الحرة، ويحاول توجيهه من خلال تربية تتناسب ومصالحه لا مصالح أفراده. الأمر الذي جعل "روسو" يفكر في إيجاد مملكة جديدة تحل محل النظام الاجتماعي المصطنع أين يتم فيها التحرر من الآراء المسبقة وكل قيود الكنسية والدولة التي تدعي القانون، لأن القيود السياسية والاقتصادية ما هي إلا قيود على التفكير والشعور، والاعتراف بسيادة القانون الطبيعي الذي يضمن الانسجام والتناسق.[2]

كما أن الحل الذي قدمه "رورسو" للقضاء على استغلال القوي للضعيف والذي تمثل وجوب اعتناق منطق العزلة والابتعاد قد رفضه "ديوي" في قوله: "والعلاج الذي اقترحه هو العودة إلى وضع الاستقلال الذي يتأسس على العزلة، وهو اقتراح يصعب أخذه مأخذ الجد غير أن يأسه دليل على إلحاح المشكلة، وطابعه السلبي يرادف التنازل عن أي أمل في الحل."[3]

فحل مشكلة الفساد الموجودة في المجتمع حسب "ديوي" لا يكون عن طريق مبدأ العزلة وإنما عن طريق استخدام الذكاء والتربية في استغلال إمكانيات المجتمع ومؤسساته بطريقة أحسن لتحقيق النمو، "وهذا هو معنى العبارة التي تقول أن المشكلة هي مشكلة أخلاقية تعتمد على الذكاء

---

[1]– المصدر نفسه ، ص40.

[2]– جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى غفراوي وزكرياء ميخائيل، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1964، ص 85–86 .

[3]– جون ديوي، الجمهور ومشكلاته، ترجمة فاطمة الشايجي، المطبعة الدولية، القاهرة، ط1، 2007، ص 172.

والتربية وسوف يكون في ذهننا مقدما تأكيد العوامل التكنولوجية والصناعية في خلق المجتمع العظيم." [1]

كما لم يُعير "روسو" أدنى اهتمام للمجتمع وللعلاقات الاجتماعية ولانتماءات الفرد وعلاقته في تربيته، حيث يرى، "أن الهيئة العامة لم يعد لها وجود. وليس من الممكن أن توجد، لأنه لم يعد للوطن وجود، فلا يمكن إذن أن يوجد المواطنون. فينبغي أن تمحى كلمة الوطن والمواطن من اللغات الحديث."[2] غير أنه في كتابه "العقد الاجتماعي" وجد أن الفرد يستحيل عليه أن يعيش بمعزل عن الآخرين ولكي يضمن حقوقه وسطهم عليه أن يلجأ إلى سياسة "العقد الاجتماعي".

فكرة التربية الطبيعية عند "روسو"لم تطرح أية مشكلة النسبة لـــ "ديوي" بل اعترف بأهميتها، غير أن ما أثار انتقاده له هو إقصاءه للبعد الاجتماعي تماما في عملية التربية التي اعتبرها لا اجتماعية لأن المجتمع في نظر "روسو" فاسد بقوانينه مما يؤدي إلى تربية فاسدة،كما أقرّ بوجود معنى آخر يمكن أن نكتشفه وراء ستار هذا الموقف والمتمثل في اهتمامها الكبير بالتقدم الاجتماعي والرغبة في تغييره وتحرر أفراده،"والفلسفة المضادة للمجتمع كانت قناعا شفافا لدافع صوب مجتمع أوسع وأكثر حرية صوب العالمية. فالمثال الفعلي كان الإنسانية. وفي عضوية الإنسانية – متميزة عن الدولة– تكون قدرات الإنسان خليقة أن تتحرر [...] وكان الفرد المتحرر خليقا أن يصير ممثلا وأداة للمجتمع الشامل التقدمي."[3] وعليه فالفردية المفرطة ما هي إلا دعوة للتحرر من التنظيمات السياسية التي تعرقل القوى الفردية من خلال مواجهتها لمتطلبات الحاكمين في الدولة و"مصالحهم الأنانية" حسب تعبير " ديوي".

فالمجتمع الديمقراطي هو الكفيل بتحقيق ذلك والاعتماد على الطبيعة وحدها لا يكفي، بل لابد من وجود أجهزة رسمية ذات طابع اجتماعي سياسي تقوم بتلك المهمة التي نادت بها التربية الطبيعية "ووجدنا الفردية المزعومة في استنارة القرن الثامن عشر متضمنة فكرة مجتمع رحب

---

[1]– المصدر نفسه، ص 173.

[2]– جون جاك روسو، إميل، مرجع سابق، ص30.

[3]– جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق، ص 85.

رحابة الإنسانية جمعاء، والفرد أداة تقدمه. ولكن ينقص هذه الفكرة جهاز لكفالة أو ضمان نمو مثالها، بدليل اعتمادها على الطبيعة."[1] فإن مجرد ترك كل شيء للطبيعة معناه نفي أو إنكار فكرة التربية والثقة بمصادفات الظروف بل "لابد من جهاز ايجابي أو إداري للقيام بعملية التعليم و التنمية التامة والمتناسقة لكل القوى أو القدرات والتي مقابلها الاجتماعي إنسانية مستنيرة وتقدمية، تقتضي تنظيما محددا لتحقيقها."[2]

كما أن الفردية والحرية التي نادى بها "روسو" في تصور " ديوي" تنافي مسألة الحرية الحقيقة التي يجب أن تمنح للطفل ، لأنه فهم الحرية في إطار العواطف والانفعالات والأفعال الخارجية المستقلة عن الذكاء، لأن "مبادئ روسو المتطرفة التي تقول بتحقيق فردية الطفل بصورة مبالغ فيها هي احترام أفكار الطفل الفجة احتراما عاطفيا، ورفض ما في تجارب الكبار ومعارفهم الناضجة من قيمة رفضا غير منطقي، وإنكار مقصود لقيمة الغايات والوسائل التي يتضمنها النظام الاجتماعي".[3]

من أوجه النقد التي وجهت أيضا لنظريته التربوية من قبل "ديوي" هي أنها تمحورت حول الفردية "وإن هؤلاء المصلحين الذين يسرفون في تأكيد الفردية من غير اتزان وبعد نظر لينقضون بإسرافهم هذا الفكرة الأساسية المقصودة بمبدأ الفردية."[4]

فالإنسان كما نعرف أنه مدني بطبعه إذ يستحيل تربيته عن طريق عزله عن المجتمع الذي يعيش فيه والذي يعتبر مصدرا مهما لنموه الاجتماعي والمعرفي. إذ جعل روسو من الفرد مجرد "أداة منعزلة لخدمة نفسه أولا ثم التنازل عن البعض من حقوقه في سبيل الآخرين إذا كان لابد له من ذلك."[5]

---

[1]– جون ديوي، الديمقراطية والتربية، مرجع سابق ، ص 91.

[2]– المصدر نفسه، ص 86.

[3]– جون ديوي، التربية في العصر الحديث، مصدر سابق، ص 81.

[4]– المرجع نفسه، ص 81.

[55]– زكرياء إسماعيل أبو الضبعات، الديمقراطية وفلسفة التربية، الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان (الأردن)، ط1، 2009، ص 60.

خاتمة:

بالرغم من تلك المآخذ التي وجهت لبعض أفكار "روسو" إلا أنه شكل منحى أساسي في تطور النظريات التربوية التي جاءت بعده، من خلال توجيه الاهتمام إلى عناصر أساسية لم تكن مثارة من قبل في التربية، فقد حملت بذور ما يعرف بالنزعة النفسية في التربية التي وجهت اهتمامها لضرورة مراعاة نمو ملكات الطفل وقدراته والإيمان بتنوع مواهبه الفردية، ونزعته الطبيعية التي تستوجب تنميتها تنمية حرة بعيدة عن كل إكراه أو تسلط. فقد كانت لأفكاره تأثير كبير على تجاوز مبادئ التربية التقليدية التي تتخذ من السيطرة والتحكم شعارا لها واستبدالها بشعار الحرية والاهتمام في التربية التقدمية على يد العديد من التربويين الذين جاؤوا بعد "روسو" من بينهم " فروبل، بستالوتزي، مريا مونتيسوري، جون ديوي.

قائمة المراجع:

أولا: المصادر

1- جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، شركة كلمات للترجمة والنشر، القاهرة مصر،(د.ط)، 2013.

2- جان جاك روسو، إميل، تر نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر،القاهرة، 1958.

ثانيا: المراجع

1- أندريه كريستون، روسو (حياته- فلسفته- منتخبات)، ترجمة نبيه صقر، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط4، 1988.

2- جون هارمان راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة جورج طعمة،ج1، دار الثقافة، بيروت(لبنان)، (د،ط)،(د،ت).

3- جون ديوي، الجمهور ومشكلاته، ترجمة فاطمة الشايجي، المطبعة الدولية، القاهرة، ط1، 2007.

4- جون ديوي، التربية في العصر الحديث، ج1، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسين المخرينحى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ط)، (د،ت).

5- جون ديوي، التربية والديمقراطية، ترجمة متى غفراوي وزكرياء ميخائيل، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1964.

6-- نازلي صالح وسعيد يسن، المدخل إلى التربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1982.

7- علي عبود المحمداويّ، الفلسفة السياسية (كشف لما هو كائن، وخوض فيما ينبغي للعيش معا)، منشورات ضفاف، بيروت (لبنان)، ط1، 2015.

8- عبد المعطى محمد، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، (د.ط)، 2006.

9- وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد،التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

10- زكرياء إسماعيل أبو الضبعات، الديمقراطية وفلسفة التربية، دار الفكر، عمان (الأردن)، ط1، 2009.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- David Mavouangui, La Philosophie de Kant et L'éducation, L'Harmattan, Paris, 2012,p20.

قائمة المجلات:

1- خاليد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو: من التربية إلى علم التربية، مجلة نقد وتنوير مقاربات في التربية والمجتمع، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، العدد 1، 2015.